الدولة المرابطية

قيام الدولة المرابطية:

مايلاحظ على قيام الدول ببلاد المغرب الإسلامي عموما هو اعتمادها على ثلاثة أسس بارزة شكلت معادلة لا مفر منها لقيامها، فمنذ نهاية عصر الولاية بالمنطقة كان قيام هذه الدويلات على أساس الزعيم والقبيلة التي تشكلها قلبها النابض ومصدر قوتها وعيشها، والأساس المهم فيها كان المذهب العقدي والفقهي الذي يمثل عصبتها الرئيسية، فمثلا قيام الدولة الرستمية كان على يد زعيمها عبد الرحمن بن رستم صاحب التوجه الإباضي، ودولة الأدارسة لزعيمها المنشق عن العباسيين إدريس الشريف متبعا السنة النبوية، والدولة الحمادية وزعيمها حماد ومذهبه السني وعلى هذا السياق قامت الدولة المرابطية بقيادة عبد الله بن ياسين وتلميذه يوسف ين تاشفين معتمدا المذهب المالكي والعقدية السنية معتمدين على ثلاثة قبائل هي جدالة ومسوفة ولمتونة.

وينتسب الملثمون الذين عرفوا فيما بعد بالمرابطين إلى قبيلة لمتونة إحدى بطون صنهاجة أعظم قبائل البربر وإليها ينتمي عدد كبير من القبائل البربرية، وكانت لمتونة تتولى رئاسة سائر هذه القبائل...وانتدب لذلك رجلا منهم جزولي النسب من أبرع طلبته وأزكاهم يدعى عبد الله بن ياسين، والحق أن ياسين كان من الفقهاء النابهين المتأثرين بمبادئ فقهاء المالكية التي تستهدف الزهد والبعد عن السلطان والتقشف والإيواء إلى الربط تقربا إلى الله.(1)

وقد كان المغرب الإسلامي في هذه الفترة من الزمن يعرف تفرقة كبيرة بين قبائله والدويلات القائمة به حول السلطة وكذا ظهور فتن كبرى به خاصة بعد تعدد المذاهب العقدية، وكثرت الصراعات العسكرية تارة داخلية وتارة من بلاد المشرق وتارة أخرى من المسيحيين المتربصين بالمنطقة منذ خروجم منها وإزياد أطماعهم بالمنطقة لمكانتها

الاستراتيجة بين دول العالم. وفي ظل هذه الأوضاع المتوترة ظهرت دولة المرابطين بالصحراء المغربية سنة 454هـ وعاصمتها مدينة مراكش بالمغرب الأقصى.

مظاهر الحياة في الدولة المرابطية:

ويعتبر المجتمع المرابطي مجتمعا طبقيا حيث قسمه الغزالي والذي كان معاصرا للمرابطين إلى طبقة منتجة وهم الفلاحين والصناع، وطبقة مستهلكة لايهمها إلا التلذذ بالنعم وطبقة تقوم بجمع المال وادخاره وطبقة تتجمل في الملبس والمأكل، ومن الطبيعي أن تختلف طريقة العيش في المدينة عنه في البادية تبعا لاختلاف لطرق وأساليب الإنتاج، إذ احترف أهل المدن الصنائع المختلفة إضافة إلى ممارسة التجارة، أما سكان البادية فقد احترفوا الفلاحة إلى جانب بعض المهن البسيطة، وبذلك كانت المدن أكثر ثراءا من البوادي إذ أن نشاط سكان الحواضر لم يكن موجها نحو تلبية الحاجات البسيطة بل إلى الإثراء الاقتصادي وتحقيق الثروات.(2)

كما شهدت بلاد المغرب الإسلامي نهضة كبيرة منذ تأسست على ارضها دولة المرابطين، إذ حرص أمراء الدولة المرابطية على النهوض بالبلاد في شتى المجالات الصناعية والزراعية والتجارية، وعم الرخاء السكان وارتفع الدخل المالي للبلاد نتيجة تلك المساحات الكبيرة التي تجني منها الأموال للحكومة المركزية في العاصمة مراكش، وقد مثلت الصناعة في عصر المرابطين نشاطا من الأنشطة الاقتصادية المهمة التي يعتمد عليها سكان البلاد، إذ أمدتهم باحتياجاتهم اليومية، وكان من أهم العوامل التي ساعدت على نمو الصناعات بمختلف المجالات هو الاستقار الأمني في البلاد، حيث كون المرابطون دولة واسعة الأرجاء قوية الاركان لاسيما بعد توحيد بلاد المغرب، والقضاء على الكيانات النى كانت قائمة قبل الفتح المرابطي، وبذلك تكون قد وفرت الأمن للسكان ليباشروا أعمالهم.(3)